تمثال متحف تاريخ الفن في فيينا رقم ÄOS 8184
(تحليل ديني وفني)*

لم يكن حجم التمثال هو الذي يحدد أهميته لدى المصري القديم ، فهناك العديد من التماثيل الصغيرة تعطى انطباعا لدى البعض بأنها ذات قيمة ومكانة أقل من التماثيل الضخمة ، إلا أننا لو دققنا في المغزى من بعض هذه التماثيل الصغيرة سنجد الكثير من المعاني والرموز الدينية آلتي قصدها الفنان المصري القديم الذي أنتج العديد من الفنون ليست من أجل الفن بل لخدمة أهداف أغلبها دينية ترتبط بعقيدة البعث والخلود ، حيث حددت الدوافع الدينية كثيرا من أساليب الفن المصري القديم، فخصص الفنان للدين معظم إنتاجه.

ومن بين هذه التماثيل الصغيرة تمثال نادر غير منشور ويوجد في متحف تاريخ الفن بفيينا (شكل ١)[١] inv.no.ÄOS 8184 .

أولا:الدراسة الوصفية للتمثال .

الارتفاع:حوالي ٥ سم.

مادة الصنع:القاشانى.

حالة الحفظ:جيدة.

التأريخ:غالبا العصر المتأخر (أ سرة ٢٢٦؟).

مكان العثور عليه:غير معروف.

المكان الحالي:متحف تاريخ الفن بفيينا.

الوصف:يظهر قزم أصلع عاري الجسد قميء الشكل وكبير الرأس ، له شفاه غليظة وأنف كبير وعيون واسعة وأذن صغيرة ورقبة قصيرة وسيقان مقوسة وبطن كبيرة ، مع ظهور عضوه التناسلي.

يعلو رأسه جعران ، ويقف القزم على تمساحين ويقبض باليد اليمنى على رمز إلهي يجثم على كتفه الأيمن على هيئة طائر الباشق (وهو نوع من الطيور الجارحة) ورأسه مفقودة ، وتكرر هذا الوضع أيضا بيده اليسرى ، ومن خلف ظهر القزم تقف سيدة مزودة بأجنحة الرخمة(أنثى النسر) وتمتد من ذراعيها (شكل ٢)، بينما تقف ايزيس على يمينه ونفتيس على يساره ويعلو رأس كل واحدة منهما العلامة الهيروغليفية الدالة على اسمها والخاصة بها (شكل ٣).

• د.مها القناوى: مدرس بكلية الآثار – جامعة القاهرة .

(١) Kunst Historisches Museum , Vienna ,inv.no.ÄOS 8184

ثانيا:الدراسة التحليلية للتمثال.

بالرغم من عدم الدقة في تنفيذ التمثال ورخص المادة المنحوت منها وصغر حجمه ، إلا أن الفنان أضفى عليه مظاهر الغموض والتقديس وبلغ غاية التأثر والترغيب وأهتم بأن يراه المتعبدون من جميع الجهات وأظهره كما لو كان كتلة واحدة حتى لا يكون عرضة للكسر.

ويندرج هذا التمثال تحت قائمة أشكال الـpataikos إلا أنه يحتوى على مغزى ديني عظيم نادرا ما نشاهده في هذا النوع من التماثيل .

أما عن "الباتك" أو patäke ,pataikos ,pataiken , pataikoi فهو تعبير أو مصطلح استخدمه هيرودوت (III,37) لشكل قزم قميء فنيقى كان يزين مقدمة المراكب أحيانا للحماية ، وقد استعاره الفنيقيون من "الباتك" المصري (شكل ٤) وهو عبارة عن هيئة إنسانية كاملة ولكنها ليست مغرية ، فمظهرها مظهر طفل ناقص التكوين ذو أعضاء مشوهة وقريب الشبه بالقزم ونجده كثيرا بعد الدولة الحديثة .

كان دور "الباتك" متصل بالسحر ومساعدة الناس وحمايتهم ودفع الأذى عنهم من مختلف الحيوانات والحشرات والزواحف الضارة والكائنات الشريرة ، وقد أخذ هذا الدور نفسه الأرباب شو ، بس ، حورس الطفل أو حربوقراط ، وكثيرا كانت الأرباب تمتزج معا لتكون حمايتها أقوى كما يظهر على لوحات حورس .

أرتبط "الباتك" بالمعبود بتاح القزم وهو ما تشير إليه تسميته التي نقلها هيرودوت ، والذي قال أنه وجد تمثال لبتاح في صورة قزم بمعبده في منف يرجع إلى العصور المتأخرة من التاريخ المصري[٢].

لقد أرتبط الأقزام بالمعبود الخالق بتاح حامى الصناع والحرفين والفنانين لأنهم كانوا غالبا صناع يدويين مهرة بارعين حيث صوروا كثيرا في مناظر صناعة الحلي في الدولة القديمة[٣] .

<u>أما عن السيدة التي تقف خلف ظهر التمثال و لم يذكر اسمها</u> فهي مزودة بأجنحة الرخمة أو أنثى النسر تمتد من ذراعيها التي تظهر بدون مراعاة للنسب التشريحية

---

(٢)Grffiths ,J.G.,"Patäke"in:LÄ IV (1982),914;Shaw,I.,&Nicholson,P.,British Museum Dictionary of Ancient Egypt,Cairo,1996,219;Hückel,R.,"Über Wesen und Eigenart der Pataiken"in:ZÄS 70(1934),103ff;Andrews,C.A.,Amulets of Ancient Egypt,London,1994,38f Bonnet,H.,Reallexikon der Ägyptischen Religions Geschichte, Berlin,1953,584

ارمان،(ادولف)، ديانة مصر القديمة ، ترجمة ومراجعة عبد المنعم أبو بكر ومحمد أنور شكرى ، القاهرة ، ص١٦٧،٣٤٦.

(٣)Griffiths,J.G.,op.cit.,914;Van Dijk,J.,"Ptah"in:Oxford Encyclopedia of Ancient Egypt, Redford,D.B.,vol.3,Cairo,2001,75;Markowitz,"Jewelry"in:OEAE,vol.1,Cairo,2001,204; Holmberg,S.,The God Ptah,Lund,1946,182ff.;teVelde,H.,"Ptah"in:LÄ IV(1982)1177:1180; Shaw,I.,&Nicholson,P.,op.cit.,230.

للجسد كما يظهر وجهها في وضع جانبي، أما باقي جسدها فهو في وضع أمامي ، و ترتدى رداء ضيق طويل يظهر تفاصيل جسدها من أسفله و لها شعر مستعار طويل و يظهر فوق رأسها ما يشبه قرص الشمس (شكل ٢) فربما تكون في الغالب ربة السماء نوت، أحد تاسوع هليوبوليس الذي علي رأسه رب الشمس أتوم رع، وأبنه شو رب الهواء و تفنوت ربة الرطوبة و أخت و زوجة جب رب الأرض و أم أوزوريس و إيزيس و نفتيس و ست، و تبعا للأسطورة فهي تقوم بحماية رب الشمس رع و مسئولة عن ميلاده يوميا، فكانت تبتلع قرص الشمس عند الغروب في كل مساء ثم تقوم بولادته في كل صباح ،و بذلك يتضح لنا أهمية "أم الآلهة" نوت كما وصفت في الفقرة ٨٦٤ من نصوص التوابيت ، بالإضافة إلي ذلك لعبت نوت دورا في المعتقدات الجنزية فكانت تصور داخل التوابيت لتحمى الموتى بجناحيها كما ساعدت في ابنها أوزيريس[٤].

<u>أما عن شكل جناح الربة</u> فهو قريب الشبه بأجنحة الرخمة التي تتميز بأنها شديدة القوة و كبيرة الحجم، و عندما تنشر فهي تفوق قدرة أي طائر سماوي آخر ، و يعطى هذا قدرا كبير من الحماية وهي تغطى صغارها ، و يجب الإشارة هنا إلي أن الربة نوت قد سبق أن شكلت في هيئة الربة نخبت الرخمة في إحدى صدريات الملك توت عنخ آمون ، كما اجتمعتا في هيئة آدمية مجنحة على تابوت يويا من الدولة الحديثة ، كما تساوت الربتان عندما رفع المصري القديم نخبت إلى مصاف الربات الأمهات و التي كانت من بينهن الربة نوت ، كما كان من بين ألقاب نخبت في نصوص الدولة الحديثة لقب"nbt pt" أو "سيدة السماء" و المعروف لدينا بأن نوت هي ربة السماء أو بقرتها، مما يشير إلي التأثير و التأثر المتبادل بين الربتين[٥].

<u>أما عن الجعران الذي يعلو رأس التمثال</u> فربما يكون "خبر" رب الشمس المشرقة ،أو شمس الصباح،أو تجسيد للشمس الوليدة وهو أحد تجليات رب الشمس في هليوبوليس حيث ميز المصري القديم بين ثلاثة مراحل تمر بها الشمس عند الشروق (خبر) ، و الظهيرة (رع) ، و الغروب (أتوم).

فلقد تصور المصري ربة السماء على هيئة امرأة و تحدث عن مراحل نمو طفلها الشمس الوليد الذي ينمو أثناء النهار و يصير رجلا، ثم كهلا في المساء ، وتبتلعه أمه

---

(٤) Kurth,D.,"Nut",in:LÄ IV, 1982,535:541;Altenmüller,B.,"Herrin des Himmels...",in:LÄ III(1977),1154;Lesko,L.H."Nut"in: OEAE, vol.2, 2001,558f;Shaw, I., Nicholson, op.cit, 207.

(٥) Aldred , C. , Jewels of pharaohs, New York, 1980, pl. 92, Houlihan, P.f, The birds of ancient Egypt, warminster, 1986, fig.58, Morenz, s., Die Ägyptische Religion, Stuttgart, 1960, 134.
؛عزة فاروق ،الإلهتان نخبت وواجيت منذ أقدم العصور و حتى نهاية الدولة الحديثة ، رسالة دكتوراه إشراف :على رضوان ، القاهرة ١٩٩٧،ص٣٩،٤٦،١٦١،١٦٢.

ليختفي ثم يظهر في العالم السفلي، و في الفجر تخرجه أمه من جديد (=مراحل الحياة حيث الميلاد ، و الموت ، و البعث).
بالإضافة إلي ذلك أرتبط أيضا الجعران بفكرة الخلق تلقائيا و كذلك بعقيدة البعث.[٦]

ثالثا:الآراء المقترحة حول التمثال:

ربما أن هذا التمثال يتعلق بتفسيرات المصريين لإحدى الحقائق الكونية التي تحيط بهم ثم صبغها الفنان في تلك الفترة بالصبغة الدينية و العقائدية و ربطها بعقيدة البعث و الخلود.

و الحقيقة الكونية هنا ترتبط غالبا بميلاد و شروق الشمس يوميا كل صباح، حيث كان يتم في الساعة الثانية عشرة من ساعات الليل عبر العالم السفلي كما جاء في "كتاب إمدوات" كتاب العالم السفلي ما قدر مهد له منذ الساعات الأخيرة ؛ فقد استقر في الساعة العاشرة جعل (جعران) إلي جانب رع ، و في المغار الذي يطلق عليه "نهاية السحر" تجر سفينة الشمس من جوف ثعبان طوله ١٣٠٠ ذراع ،و عندما تخرج ثانية من بين فك الثعبان إذا برب الشمس يصبح هذا الجعل . لقد تحول إلي خبري رب شمس الصباح ،و بينما يظل جسده القديم في العالم السفلي يستقبل شو الجعل، و يخرج المعبود الجديد من العالم السفلي و يستقر في زورق الصباح ، ثم يصعد في حضن ربة السماء [٧]؛ ليمثل الساعة الأولي و الثانية من شمس الصباح و التي ترتبط بالطفل الوليد .

و يصف كتاب النهار بمعبد أدفو المسجل علي إفريز صالة الأعمدة الكبرى C من الناحية الجنوبية والشمالية الرحلة النهارية لمركب الشمس منذ ميلادها من رحم الربة نوت، وحتى الغروب حين تبتلعها. و لقد أتخذ رب الشمس في كل ساعة صورة مختلفة ، ففي الساعة الأولي و الثانية يظهر على هيئة الطفل الوليد ، و كانت كلا من ايزيس ونفتيس من بين طاقم المركب،وفى الساعة الثالثة يظهر بهيئة مركبة من الأسد و الصقر و هكذا...، و يظهر في جميع مناظر رحلة الشمس عملية الصراع مع قوى الشر المختلفة[٨].

---

(٦)Griffiths , J.G., "solar cycle" in: Oxford Encyclopedia of Ancient Egypt , Redford , D.B. , vol. 2, Cairo 2001, 477, Bianchi, R.S., "scarabs", in: OEA vol. 3 2001, 179, Pirelli, R., in: The Treasures of the Egyptian Museum, Italy, 2000, 376.

كونج (ايفان) ، السحر و السحرة عند الفراعنة مترجم القاهرة ،١٩٩٩،ص٤٠٨؛ ارمان ،المرجع السابق ، ص١٦؛ بوزنر معجم الحضارة المصرية القديمة ، ترجمة أمين سلامة ، مراجعة سيد توفيق ، القاهرة ١٩٩٦،ص١٢٣.

(٧)أرمان ، المرجع السابق،ص٢٦٦.

(٨) للمزيد أرجع إلى :

Kurth , D. , Treffpunkt der Götter , München , 1996; Chassinat , E. ,"Le Temple d' Edfou" MMAF 20 , vol. III , le caire, 1928 , pls. Lxx –Lxxiv; Hournung , E., the Ancient Egyptian Books of the After life, London, 1999, 116 f, 178 f.

وربما يرتبط العمودان اللذان ينتهيان على شكل طائر الباشق الجاثم رب الشمس إلى الجبلين اللذين تشرق من بينهما الشمس،أو الجبل الذي تبزغ الشمس من عنده والجبل الذي تغرب وراءه،وتقوم نوت ربة السماء بولادته بينماتقوم الربة إيزيس بدور القابلة وتساعدها الربة نفتيس ثم تتم عملية الرعاية والحماية (بردية وستكار وأسطورة ولادة أبناء الشمس ومساعدة الربات في ميلاد الملوك القادمين).[٩]

ومن المعروف أن الشمس عند الفجر تخوض صراعا ضد قوى الظلام و مثلما تنتشر الشمس المشرقة على أعدائها؛ ينتصر الشخص على أعدائه، فمنظر "الباتك "الذي يعلو رأسه الجعران و يقف على التمساح ربما يتعلق بموضوع انتصار شمس الصباح خبري ،أو الشمس المشرقة على أعدائها و في نفس الوقت يظهر المهزومين بواسطة السحر بدون حول أو قوة ، و قد ظهروا في هيئة العجز و الاستسلام ، فالوقوف على التمساح هنا ما هو إلا إهانة و تحقير له ، والتمساح هو رمز من رموز الشر التي تعترض طريق البعث و الولادة ، كما أنه جزء من كيان ست ، و قتله أو الانتصار عليه بمثابة الانتصار على العدو أو انتصار الخير على الشر.

و من ثم ، فالطفل يمثل رب الشمس المشرقة خبر و كذلك حورس الطفل (حور باغرد) أوحربوقراط كما يسميه الإغريق ،فهو النموذج لكل ما هو صغير وهو الولادة الحديثة،والحياة الجديدة ،و أول ساعات النهار، و شمس الشروق و أشعتها المبكرة و قد تطورت الفكرة وراء هذا التصوير في العصر الروماني لترمز إلى تجدد الحياة والخصوبة. و من المعروف أن حربوقراط قد أخذ الكثير من صفات حورس إذ وصف بأنه "ذلك الذي في الأفق" ، و أيضا "ذلك الذي يلمع مشرقا" ، و "حورس هو الشمس[١٠]".

وتذكرنا وقفة هذا التمثال بوقفة حورس على لوحاته السحرية التي تغطي سطحها بالتعاويذ لحماية ووقاية الناس من لدغاه الثعابين والعقارب وأبعاد الحيوانات والزواحف الضارة عنهم،وفى نفس الوقت تعمل على شفاء الشخص الذي أصيب فعلا بالضرر ،حيث تروى إحدى الأساطير بأن حورس الطفل أو "حور با غرد" قد لدغه عقرب وقامت أمه إيزيس بعلاجه ورعايته، وبذلك أصبح حور من الأرباب الراعية يلجأ إليه البشر لحمايتهم من الحشرات السامة والحيوانات الخطرة.

وقد عرفت هذه اللوحات باسم لوحات حورس أو لوحات حورس فوق التماسيح أو لوحات حورس المنقذ أو لوحات حورس المنجى "حور- شد"، وكانت تصور حورس

---

(٩) عبد العزيز صالح ، حضارة مصر القديمة وآثارها ،الجزء الأول، القاهرة ،١٩٨٠،ص٣٦٢-
Dexey,D.M.,"Nephthys",in:OEAE. 'vol2,cairo,2001,518;Bergman,J.,"Isis",in:LÄ III(1980), 186ff;Graefe,E.,"Nephthys",in:LÄ IV(1982),457ff;Altenmüller,B.,"Herrin des Himmels",in: LÄ II (1977),1154

(١٠) منى حجاج ، تصوير المعبودات الشمسية في مصر في العصر الروماني ، كتاب الملتقى الثالث لجمعية الآثاريين العرب ، الندوة العلمية الثانية، الجزء الأول ، القاهرة ٢٠٠٠،ص٥٨٢-

طفلا عاريا تزين رأسه الضفيرة التي ترمز إلى الطفولة، ويقف عادة على تمساح أو تمساحين ويمسك في يديه مجموعة من الحيوانات والحشرات كالغزال والعقارب والثعابين والسباع ، وعلى جانبيه أحيانا تظهر زهرة اللوتس رمز نفرتوم وعمود قمته على شكل نبات البردي يعتليه صقر، ويعلو رأس حورس غالبا قناع على شكل وجه المعبود بس وكثيرا ما يحيط بالمعبود حورس مجموعة من الآلهة حسب ما جاء في الأساطير الدينية أن تعرضت لإصابات هذه الحيوانات ، وكان الهدف من هذا أن يتشبه الشخص المصاب بأحد هذه الآلهة لينعم بالقدرة السحرية التي تنقذه من الأمراض مثلما أنقذت الآلهة .

ويرجع أقدم نموذج لهذه اللوحات إلى عصر الأسرة التاسعة عشرة ثم اشتهرت في العصور المتأخرة، ومن أشهر هذه اللوحات لوحة مترنيخ التي ترجع إلى عصر الملك نختنبو الثاني، وتوجد حاليا في متحف المتروبوليتان بنيويورك .

ومن ثم فلقد أرتبط هذا التمثال بالسحر الدفاعي طبقا لتصنيف جاردنر للسحر،وكذلك السحر الحامي من الموت بواسطة العقارب والثعابين والتماسيح والسباع وكافة الوحوش آكلة لحوم البشر .[١١]

لقد لعب المعبود المشكل في هيئة القزم دورا هاما في التعاويذ التي كانت تستخدم للحماية من الأمراض وشتى أنواع الضر سواء كان ذلك في الحياة الدنيا أو عالم الأموات وربما كان تفاؤل المصريون القدماء بالأقزام في الحياة اليومية، واعتقادهم أن وجودهم في ديارهم يجلب لهم الحظ هو السبب الأساسي الذي جعلهم ينسبون إليهم دورا حاميا في بعض النصوص السحرية .

لقد أرتبط القزم غالبا برب الشمس ونعرف هذا من بعض النصوص السحرية والنصوص الدينية التي يغلب عليها الطابع السحري والتي تستخدم كتعاويذ لحماية الجسد ، ولعل سبب ذلك أن القزم مثله كمثل غيره من الأرباب الذين صوروا على اللوحات السحرية يستمد قوته الحامية من معبود الشمس الذي يعتبر الرب الأعظم الذي يملك القدرة على الحماية والشفاء فينوب عنه القزم في دور الحماية.[١٢]

يمكن أيضا ربط هذا التمثال بالتماثيل الواقية أو التماثيل الشافية التي من أقدمها تمثال عثر عليه في صحراء مصر الشرقية وهو يتكون من الملك رمسيس الثالث وإحدى الملكات وإحدى الربات ، وقد ظهر جعران مسطح فوق قمة تاج الملك رمزا للمعبود

---

(١١)Kákosy,L.,"Horusstele"in:LÄ III (1980),60f; Show,I.,&Nicholson,P.,op.cit.,133; Russmann,E.R.,&Others,The Treasures of the Egyptian Museum,Italy,2000,360,CG9401.
علا العجيزى،الأقزام فى مصر القديمة، رسالة ماجستير، أشراف :عبد العزيز صالح، لم تنشر ،القاهرة،١٩٧٨ ،ص١١٧.
كونج،(إيفان)،المرجع السابق،ص١٣٢،١٣٨،١٥٠،١٥١،٣٧٨،٤٠٦؛أرمان،(أدولف)،المرجع السابق،ص٣٤٦،٤٣٥.
(١٢)علا العجيزى،المرجع السابق،ص١٣٩،١٤٠.

خبري الذي يتماثل به الملك ويجعل من شخصيته شخصية مزدوجة دنيوية وإلهية مما يعمل على تدعيم فاعلية الصيغ والكتابات السحرية الموجهة ضد الحيوانات والزواحف والحشرات الضارة والتي تغطى مقعد الملك وبهذا تخلق شخصية الملك الفاعلية والقوة التي تفيض بالحيوية والألوهية، ويؤكد لنا هذا إحدى الفقرات التي تقول بأن الملك هو خبري "أنه خبري" [١٣](وهذا ما يتطابق مع تمثالنا) .

***وفى النهاية يمكن تلخيص أهمية هذا التمثال فيما يلي:**

١ــ أنه يمثل إحدى الحقائق الكونية لدى المصري القديم وقد صبغها الفنان بالصبغة الدينية والعقائدية

والحقيقة الكونية هي ميلاد الشمس أو شمس الصباح أو الشمس المشرقة (خصوصا الساعة الأولى والثانية من كتاب النهار) بواسطة الربة الأم ربة السماء نوت وظهور ايزيس كقابلة ونفتيس كمساعدة لها (بردية وستكار) وانتصار الشمس المشرقة على الأعداء وقوى الشر المختلفة وظهور التماسيح رمز ست في هيئة الخضوع والاستسلام ومنع تأثيراته الضارة .

٢ــ تجلت في هذا التمثال خصائص قدرة إلهية واسعة لتزداد هيبته، بالإضافة إلى أن تكون حمايته أقوى وأقدر على فعل العجائب رغم صغر حجمه، فهو بتاح القزم (الباتك) حامى الصناع والحرفين والفنانين ،وخبري ، وحورس الطفل أوحربوقراط أرباب الشمس المشرقة .

٣ــ أستخدم التمثال كتميمة تساعد على عملية البعث والولادة .

٤ــ كما أستخدم كتميمة ترتبط بالسحر الدفاعي مثل لوحات حورس والتماثيل الشافية والتماثيل الواقية لحماية الناس ووقايتهم من لدغاه الثعابين والعقارب وأبعاد الحيوانات والزواحف الضارة عنهم ، وفى نفس الوقت تعمل على شفاء الشخص الذي أصيب فعلا بالضرر لينعم بالقدرة السحرية التي تنقذه من المرض .

٥ــ يشير إلى ارتباط الأقزام برب الشمس .

٦ــ قام الفنان بتدعيم فاعلية هذا المثال كتميمة للحماية وكذلك كتميمة تساعد على البعث والولادة بظهور الربات نوت ، وايزيس ، ونفتيس .

****وأخيرا أقول أن للزمن دوراته في الفلك والنهر والزرع ... حتى الإنسان ، التي ما أن تكتمل واحدة منها مشيرة إلى النهاية حتى تتخلق في رحم هذه النهاية.. بداية جديدة.. وهكذا يكون التوارى إيذانا بميلاد جديد ، والخفوت بشيرا بولادة أخرى .**

تلك هي معجزة الخالق وأية الكون التي عرفها الإنسان المصري منذ القدم .

---

(١٣)كونج،(إيفان)،المرجع السابق،ص١٤٩،١٥٠.

شكل (١)

شكل (٢)

شكل (٣)

www.manaraa.com

شكل (٤)